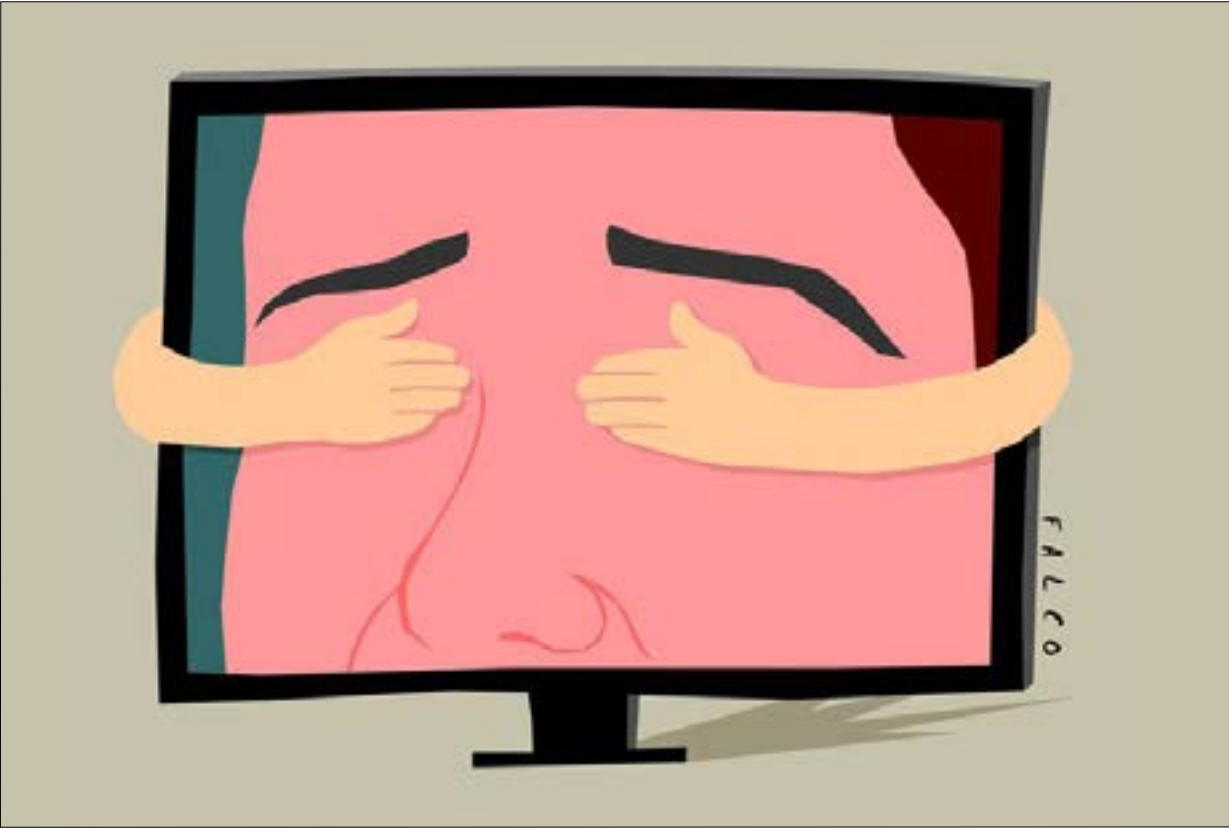


الكوميديا التلفزيونية اللبنانية: انتقائية وهوس بالعالمية



ترسخ الكوميديا اللبنانية مفاهيم رجعية في المجتمع، بالنسبة إلى المرأة والمثلية والطائفية (اليكس تشايف - كوبا)

أسعد أبو خليك *

تحليل الكوميديا عمل بالغ الجدية، ولا يقبل المزاح. كتب فرويد كتاباً في تحليل وتصنيف النكات بعنوان: «النكتة وعلاقتها باللاوعي». وهو يفرّق بين النكتة ذات النزعات، أي تلك التي ترتبط بمعنى باطني أو خفي، وتلك النكات المجردة التي جهد في إيجاد أمثال عنها. والنكات تعبر عن أسرار الفرد وأسرار شعب بحاله. فالعلاقة بين راوي النكتة ومثليتها تعتمد على رابط ثقافي وسياسي بينهما، وإلا صعب فهم النكتة. ولبنان يزدهر بروحه المرحة ونزوعه نحو النكات. لكن الدفاع عن النكتة بأنها بريئة يخفي بواطن تلك النكتة، أو بواطن الراوي (أو الراوية). أي أن نفي دلالات النكتة يعزز نظرية تعبير النكتة عن المضمّن.

تزدهر البرامج الكوميديّة في لبنان منذ سنوات. الشاشات عديدة والمنافسة حادة، وهناك خلط في المواهب: يُظن أن الممثل يمكن له دوماً أن يكون كوميدياً، وأن مقدّم البرنامج يمكن له لو أراد أن يصبح راوي نكات. وإنتاج البرامج الكوميديّة أقلّ كلفة من إنتاج البرامج الدراميّة والمسلسلات، حتى في لبنان حيث إنتاج المسلسلات أقلّ كلفة من بلدان أخرى. والتمنافس بين المحطّات يُشجّع البرامج تلك على تجاوز الحدود الاجتماعيّة. لكن سطحيّاً فقط. وهناك ما يميّز البرامج الكوميديّة اللبنانيّة عن بعضها، وهناك ما تشترك البرامج فيه من مميّزات وشواهب.

يُلاحظ أولاً غياب العنصر النسائي في هذه البرامج، وهذا ليس خاصاً بلبنان. والمقارنة بين الكوميديا اللبنانيّة والأميريكيّة تجوز، لأنّ متابع الكوميديا اللبنانيّة يلاحظ مدى تأثيرها أو تقليدها في كثير من الأحيان للكوميديا الأميركيّة. وجون بالوشي، الذي كان «أسطورة» الفريق الأوّل في «ساترداي نايت لايف» كان يرفض العمل مع النساء، ويرفض تادية أي دور مكتوب من نساء، وكان يقول إن النساء غير ظريفيات. وهذه الفكرة الذكوريّة العنصريّة نجد طريقها إلى الفكر التلفزيوني السائد في لبنان. يذكرون فريال كريم أو شويكار كأنهما الاستثناء على القاعدة الذكوريّة. ووجدت الكوميديّات الأميركيّات صعوبة بالغة في اختراق صف الكوميديّين الذين لم يدعوا دخول النساء في هذا المجال. والكتابة الكوميديّة في أميركا تكاد تنحصر بخريجي جامعة هارفرد الذكور (ومجلة «لامبون» فيها): هؤلاء موجودون في البرامج الكوميديّة المسائيّة وفي برنامج «سميسون» و«فاميلي غاي» و«السيك كوم». وفي لبنان، الكتابة الكوميديّة شأن ذكوري محض. المرأة ديكور أو يُستعان بها لماماً للاستعراض الجسدي. وهذا الغياب النسائي ليس مسألة إنصاف فقط: هي تفسر الحبكة الذكوريّة السوقيّة البذيئة في كل البرامج. والمشاركة النسائيّة في الكوميديا (كما في برنامج «لول» الذي بثته قناة «otv» العنويّة) كان في منافسة الذوق الذكوري في إطلاق النكات البالغة السوقيّة الجنسيّة. أي أن وجود المرأة يفسد جو المرح الذكوري المراهق السائد في البرامج. لبنان بلد مُتناقض مثل أميركا التي تأسست على قواعد مسيحيّة طهرانيّة مترمّنة، لكنها تصدر للعالم ثقافة البورنوغرافيا (في أميركا إنتاج أفلام البورنو أكثر من إنتاج هوليوود). ولبنان، يعج برجال الدين. لا نساء دين في بلادنا. لكنه يعج أيضاً بثقافة بورنوغرافيّة إباحيّة ويسوق مواخير غير رسميّة. تشعر أن لبنان يستعدّ، متى سُنت القوانين بذلك، كي يصبح عاصمة الفيلم الإباحي في الشرق كلّهُ، وجزء غير صغير من سياحة لبنان هي سياحة جنسيّة (منذ استقلاله، جذبت هذه السياحة، لا المناخ، أمراء وشيوخ النفط). لكن النكات الجنسيّة سهلة وهي تصلح لسن المراهقة، لكنها في لبنان متغلّطة وعابرة للطوائف والأعمار. لا تسمح الرقابة الرسميّة في لبنان بمشاهد الحب والجنس في الأفلام (التي تعكّر هناك المجلس الكاثوليكي للإعلام كما تعكّر هناك المجالس الطائفيّة الإسلاميّة) لكنها تسمح بمشاهد العنف وبتعليب وتسليع المرأة. تقديم النصيح إلى الكوميديا يكون دوماً تقيلاً، لكن هل أن البذاءة والسوقيّة الجنسيّة تضيف إلى الكوميديا اللبنانيّة أم أنها تسطحها وتقيدها في خيال مراهق والخيال الكوميدي على الشاشة اللبنانيّة

يعاني من هوس في الإنتاج البورنوغرافي والسوقيّة الكلاميّة.

الجرأة السياسيّة ضعيفة جداً في الكوميديا اللبنانيّة، أو هي غير موجودة. السخرية من العامل السوري ومن جبران باسيل ومن المرأة والمثلية هي الكوميديا السهلة، لأن هذه لا تزعج المحرّمات ولا تهين المقدّس ولا تؤثر على السلطة الحاكمة. الكوميديا الجذريّة لا تلتزم بحدود الثقافة السياسيّة السائدة (أي تلك التي لا تشكل تهديداً للنخبة) (الطبيقيّة. الطائفيّة الحاكمة). جورج كارلين الاستاند أب كوميدي «الأميريكي الشهير، كان لا يترك سلطة دينيّة أو سياسيّة أو ثقافيّة أو اقتصاديّة إلا ويهشمها ويفكّ خطابها. لم يكن يكتفّر لو أنه أزعج حتى جمهوره وتحذّي قيمه. أذكر كيف كانت الصالة الممتلئة في عروضه تتوقّف عن الضحك عندما يتطرّق لموضوع العدو الإسرائيلي، ويلقي على الحضور فكرته بصيغة السؤال. كان يقول (في كل عروضه): «لماذا يُطلق على الإرهابيين الإسرائيليّين اسم كوماندوس ويُطلق على الكوماندوس الفلسطينيّين إسم إرهابيين؟». أذكر أنه كلما قال ذلك في عروضه في مدن مختلفة في أميركا كان فهم الفكرة يستعصي على الحضور. وكان بعضهم يفهمها وينزعج. هذه كانت تتناقض مع كل المفهوم السائد عن الإرهاب

دولة الخليج تحظى
بكامل الاحترام
والتقدير والتبجيل

في أميركا. هذه كوميديا جذريّة. أما لبني بروس فكان ساخرأ أكثر مما كان مُضحكاً لكنه سخر حتى من جاك كيندي بعد أيام فقط من اغتيال زوجها. أما ريتشارد بربر فقد عرّى خطاب وفكر العنصريّة البيضاء بطريقة مؤلمة (مؤلمة لمن عانى من عنصريّة فكر التفوق العرقي الأبيض). مرّ أكثر من عقد من الزمن على اغتيال رفيق الحريري ولا يجرؤ كوميدي واحد على تناوله بالسخرية. هذا دليل آخر على عدم تناول الكوميديا اللبنانيّة مواضيع جذريّة. من يتناول سطوة المصارف أو الفساد بتحديد أشخاصه؟ الحديث عن النفايات لا يُعتبر كوميديا جذريّة. طبعاً، ليس ضرورياً أن تكون الكوميديا جذريّة ومعظم الكوميديا هنا سطحيّة وغير جذريّة (وأصبحت البرامج المسائيّة المنوّعة هنا قائمة على التهريج

والمقابل أكثر من الكوميديا السياسيّة الساخرة، وتناول دونالد ترامب لا يُعدّ جذرياً لأن كل المؤسّسة الحاكمة معارضة له بجناحيها). لكن لا يجب أن تعتبر البرامج الكوميديّة نفسها أنها تقوم بمهام سياسيّة وطنيّة. التواضع واجب. باسم يوسف تجرأ، مثلاً، على حكم محمد مرسي، وتعامل مع خلفه بكثير من الخفر.

هناك حزب غير مُعلن في لبنان، وهو يضم العاملين والعاملات في الإعلام اللبناني، كما يضم العاملين والعاملات في منظمات الد.إن. جي أو «الغربيّة. والباب دوار بين القطاعين، أي بين الإعلام وبين الد.إن.جي أو». ويطمح العاملون والعاملات في الإعلام إلى الانتقال إلى عالم الد.إن.جي أو لأنه يوفر مرتبات أعلى وفرصاً أكثر للسفر. لا ضير في ذلك في حد ذاته، لكن التزاوج بين الإعلام والد.إن.جي أو خلق ثقافة شبابيّة سائدة تبدو معالمها واضحة في التنقل العادي على صفحات لبنانيّة في وسائل التواصل الاجتماعي. ولهذا العالم سماته السياسيّة: الصمت عن جرائم العدو الإسرائيلي والامتناع الصارم عن دعم أي حركة مقاومة للعدوّ الإسرائيلي. هذا التعبير عن الموقف السياسي المعارض للمشيئة الأوروبيّة والأميريكيّة بات مُحرّماً، خصوصاً وأن مطالعة صفحات التواصل الاجتماعي للمتقدّمين والمتقدّمات على وظائف بات مألوفاً في سلوك المنظمات الغربيّة. هل يظهر ذلك في الكوميديا اللبنانيّة؟ لماذا ليس هناك مثلاً أثر للسخرية من العدو الإسرائيلي؟ لا حديث عنه. فلسطين في كوكب آخر. لماذا يكون التعاطي مع دول الغرب (وضحايا الإرهاب في دول الغرب) مُغلّفاً باحترام وتبجيل كبيرين؟ لماذا تنم الثقافة الكوميديّة عن عقليّة الرجل الأبيض - وهو ليس نحن؟

يمكن أن يُقال إن الحديث السياسي الجذري غير مألوف. لا، هو مألوف. برنامج «بي بي شي» الذي تبثه قناة «lbc»، مثلاً، له مواقف جذريّة سياسيّة (ووعظيّة أبو ملحمة) في مواضيع محدّدة. المقدّم، سلام الزعترى، نظر إلى الكامييرا بجديّة بالغة ووعظ عن وضع حلب الشرقيّة وضحاياها (لم تحظّ حلب الغربيّة وضحاياها باهتمامه). لماذا؟ وكيف يتقرّر أن الحديث الجذري عن مأساة حلب الشرقيّة فقط من يستحقّ التغطية؟ هنا يتضح مدى تغلغل سطوة الد.عروب نثك» (أي فكرة الفريق الواحد) لدى عناصر القطاع الإعلامي ومنظّمات الد.إن.جي أو». أي التعاطف الإنساني مسموح، وحتى دعم الحروب مسموح، لكن بحدود مواقف الدول الغربيّة. وعليه فإن راجعات التنظيمات المسلّحة في سوريا لا تُدان فيما تُدان حجارة وسكاكين الشعب الفلسطيني. أي أن معايير التقييم ليست محلّيّة بل هي مُستطبنة من معايير الإعلام الغربي نفسه. إبداء الحزن والتعبير عن العواطف بات منبوذاً في إعلام العرب (كما في إعلام الغرب) إذا كان متعلّقاً

بشعب فلسطين، لكنّه مسموح لو أن هذين التعاطف والحزن كانا متعلّقين ببعض العرب (مثل قسم فقط من الضحايا المدنيّين السوريّين: متى رأينا تعاطفاً مع الآلاف من المدنيّين السوريّين الذين قتلوا بالقنابل والصواريخ الأميركيّة على مرّ السنوات الأخيرة؟) سلام الزعترى، مثلاً، لا ينظر إلى الكامييرا بجديّة ويتعاطف مع شعب اليمن. لا يتوجّب على الكوميدي أن يكون جدياً أو وعظيماً. هذا خياره. لكن لو أراد أن يكون وعظيماً في موقف وليس في موقف آخر، فمن حق الجمهور أن يلاحظ وأن يستخلص معايير الكوميدي.

ومن ضمن السياسة الصارمة لحزب «اتحاد الإعلام - إن.جي.أو»، تغييب السخرية من حكّام الخليج. السخرية من الحاكم السوري ومن حكّام إيران، وحتى من حاكم كوريا الشماليّة، مسموح ومُرحّب به. لماذا يصبح حاكم كوريا الشماليّة هدفاً للسخرية الدائمة (شبه اليوميّة على مواقع التواصل الاجتماعي العربيّة) وهو لا يكرّ - ولا يكرّ نظامه منذ تأسيسه على يد جدّه. دعاء ضد العرب؟ على العكس، بقي النظام الكوري الشمالي متعاطفاً مع القضايا العربيّة على مرّ السنوات والعقود، وموقفه ضد العدو الإسرائيلي أكثر صلابة من مواقف كل الدول العربيّة: حتى النظام السوري دخل في حوار ومفاوضات مع العدو الإسرائيلي فيما تمتنع الحكومة الكورية الشماليّة عن أي تواصل - مباشر أو غير مباشر - مع العدو الإسرائيلي. والأخبار الكاذبة عن كوريا الشماليّة (مصدرها دوماً مصنع الأكاذيب في المخابرات الكورية الجنوبيّة، أو مخبلة «مدون» صيني، مثل قصة إطعام ضحايا الحاكم الكوري الشمالي للكلاب) تلقى الترويج الفوري من قبل الإعلام العربي ومن قبل الشباب العربي على مواقع التواصل.

أما دول الخليج العربيّة بكامل الاحترام والتقدير والتبجيل. المقدم جنيد زين الدين (وهو من أطرف المُقلّدين ويجمع بين الابتكار العفوي ومهارة التقليد) تحدّث في حلقة عن دول الخليج وقال إنها تطوّرت في كل المجالات وتفوّقت على لبنان. يا جنيد: هل تطوّرت دول الخليج سياسياً قيد أنملة في خلال السنوات الأخيرة؟ إن الوضع السياسي في البحرين في الستينيّات أو السعوديّة في الخمسينيات كان أقلّ انغلاقاً. على انغلاقه وترمّته وتسلطه آنذاك. مما هو عليه الآن. التطور الخليجي هو مادّي فقط، ولا يطال أي مجال من الحياة السياسيّة أو الثقافيّة (إلا إذا اعتبرنا الاحتفاء بحكم كارديشان وجيجي حديد من مظاهر الثقافة المحليّة في الخليج وهي كذلك). ولماذا يقف حس الفكاهة عند حدود دول الخليج؟ طبعاً، لأن الكوميديّين اللبنانيّين يريدون إبقاء أبواب العمل فيها وإقامة الحفلات مفتوحة أمامهم، وهم على علم أن دول الخليج حقودة ولا تتغاضى عن نقد أو سخرية (سُحبت جائزة العويس من

الاخبار
al-akhbar

رئيس التحرير -
المدير المسؤول:
ابراهيم المصن

نائب رئيس التحرير:
بيار ابي صعب

مدير التحرير:
وفيف قانصوه

مجلس التحرير:
محمد زبيب
حسّ عليف
إيلي حنا
اهل الاندري
شريك كرم

صادرة عن شركة
اخبار بيروت

المكاتب بيروت -
فردان - شارع دونات
- سنتر كونكورد -
الطابق السادس

تلفاكس:
01759500
01759597
ص. ب. 5963/113

الإعلانات
الوكيل الصحفي
ads@al-akhbar.com
01759500

التوزيع
شركة الواصل
01/666314-15
03/828381

الموقع الإلكتروني
www.al-akhbar.com

صفحات التواصل



/AlakhbarNews



@AlakhbarNews



/alakhbarnews-
paper